لا تحزن
إنّ اللّه معنا

للأستاذ طه عبد الباقى سرور

... وهتف ملك من ملائكة النور بصاحبه فى دهشة وتعجب ، من هذا السائر وحده فى الارض المقدسة بين الجبال والرمال ، يحف به الجلال ، ويظلله السحاب ، وتطوى له الارض ، وهو يقلب وجهه فى السماء ، ويضرع الى الله بالنجوى والدعاء ؟

قال له صاحبه ، وقد اهتزت أجنحته الملائكية ، فتناثرت الاضـــواء الساحرة : هذا أفضل وأكرم وأعز من اصطفى الله من عباده ، هذا محمـد رسول الله ، الذى أرسله ربه ، هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

ومع هذا ياصاحبى ، لو رأيت ما صنع به أهل الطائف ، لأذهلك بغى بنى الانسان وجحودهم ، لقد أتوا اثما كبيرا ، واعتدوا عدوانا عظيما .

لقد ذهب اليهم خير البشر ، يدعوهم الى خير الدنيا والآخرة ، فسخروا منه ولمزوه ، وأغروا به العبيد والسفهاء ، فقعدوا صفين على طريقه ، فلما مر عليه الصلاة والسلام بينهم ، جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهمـا ، الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه ، فخلص منهم ، وهما يسيلان الدماء !

ورفع الكريم العظيم الجليل محمد صلوات الله وسلامه عليه رأســه الى السماء هاتفا فى صدق وحرارة ودعاء ، وقد آلمه ما يلقى من الناس فى سبيل دعوته الى الحق والسلام :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، انت رب المستضعفين وانت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل عـلى سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

ويقول الرسول صلوات الله عليه فى حديث عائشة : فانطلقت وأنا مهموم أهيم على وجهى ، فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى . فاذا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال :

ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

ثم ناداني ملك الجبال : فسلم على . ثم قال : يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك . وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني اليك ربك ، لتأمرني بما شئت ، ان شئت أن نطبق عليهم - الاخشبين - جبلان حول مكة - .. فقال رسول الله :

أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا ..

ذلك الخلق العظيم ، يتركه الرسول العظيم ، على جبين الدنيا خالدا يتلألأ ، يرشد الدعاة الى الله . ويرشد الدعاة الى الاصلاح . ويرشد الدعاة الى خير الانسانية ، ان اصبروا وصابروا وجاهدوا بنفس مطمئنة ، خيرة صافية نقية . لا تعرف غضبا ولا حقدا ولا انتقاما . وانما ترجو للانسانية دائما ، هدى وسلاما ..

لقد لقى رسول الله من قومه أذى وعدوانا ، وحقدا وجهلا وعنادا ، ولكن حلمه العظيم ، وقلبه الكبير ، كانا أعظم وأنبل وأجل ، من كل ما في الجاهلية .. من حقد وبغى وعدوان ..

عن ربيعة بن عباد قال : « انى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يابنى فلان انى رسول الله اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به . قال : وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية .. فاذا فرغ رسول الله من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يابنى فلان ، ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن اقيش ، الى ماجاء به من البدعة والضلالة .. فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبى ، ياأبت . من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب ..

ويروى الامام احمد عن جابر قال : مكث رسول الله بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، وفى المواسم يقول : من يؤوينى ، من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة ، فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره ، حتى ان الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر . فيأتيه قومه ذوو رحمه فيقولون - احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالاصابع .. حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن فينقلب الى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام .

ثم ائتمروا جميعا فقلنا - متى نترك رسول الله يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه الموسم فواعدناه شعب العقبة .

فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا : يارسول الله علام

نبايعك ؟ .. قال :

تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله ، لا تخافوا فى الله لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى وتمنعونى اذا قدمت مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة ، فقمنا اليه :

• • •

وكانت بيعة العقبة ، وتأذن رب العزة بأن جهاد رسوله قد آنله أن يثمر وأن يشمل الدنيا ، وأن تتفتح أمام دعوته أبواب الحياة .

وجاء جبريل أمين السماء بأمر ربه يدعو أكبر الرسل وخاتم النبيين الى الهجرة فى سبيل الله ..

واجتمعت الوثنية العالمية فى حقد ملتهب لتتآمر فى الظلام ولتدبر القتل والاغتيال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك »

ويخرج الرسول ومعه صاحبه الصديق فى فجر اليوم الخالد ، فجر الهجرة الكبرى ، فينثر على رؤوس المتآمرين التراب .. ثم يواصل رحلته بعين الله ورعايته حتى يصل الى الغار التاريخى ، فاذا ألم به للراحة .. أدركته قريش فى ضجيجها وتهاويلها ، ويحدقون بالغار ، ويهتف الصديق ، يارسول الله لقد أحيط بنا ، لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدمه ، فيقول النبى صلوات الله عليه :

لا تحزن .. ان الله معنا .. ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ ..

واستقبلت المدينة رسولها المجاهد العظيم ، واتحدالانصار مع المهاجرين .. فكانت تلك الوحدة العربية الاولى بين أبطال مكة وفرسان المدينة ، نهاية تاريخ ، وبداية تاريخ ..

نهاية الوثنية والعدوان والجاهلية ، وبداية الاشراق والنور والهدى والكتاب المنير ..

الكتاب الذى سيبقى خالدا أبد الدهر .. انه كتابنا .. أنزله الله على رسولنا .. لنا ..

ويوم نعتصم بكتاب الله .. ويوم نستمسك بهدى رسول الله ، سنعود الى الدنيا ، كما كنا .. لنا العزة والكرامة ، ولنا القوة والمنعة ، لأننا جند الله ، ورسل السلام ودعاة الخير .. وحماة الحق ..

يا يوم الهجرة .. لقد عدت الينا فى عامنا هذا والجاهلية الباغية الطاغية تتصايح بنا ، تريد أن تطفىء نور الله ونورنا ..

لقد عدت الينا فى عامنا هذا ، وأيدينا على السلاح ، وأرجلنا على بداية الطريق المستقيم ، الطريق الصاعد ، الى مجد العروبة وعز الاسلام ..

ياأتباع النبى المهاجر .. لا تحزنوا .. ان الله معنا ، وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيرا ..

« طه عبد الباقى سرور »